Hespéris-Tamuda LVI (3) (2021): 35-50

Mulāḥaẓāt ḥawla taṭawwur al-ʻumrān bi-l-Maghrib al-Aqṣā khilāla al-qurūn al-ūlā li l-Islām

Notes on the Development of Urbanization in Morocco during the First Centuries of Islam

ملاحظات حول تطور العمران بالمغرب الأقصى خلال القرون الأولى للإسلام

محمد الحضري
جامعة ابن زهر، أگادير

Abstract: This article explores some of the opportunities provided by numismatics, through mint names which indicate in fact names of towns and cities, to contribute to our knowledge of settlements and urban centers in Morocco (al-Maghrib al-ʾAqṣā). In the discussion the list of idrissid mints is compared with textual data on the one hand and with the list of almoravid Moroccan mints on the other. Some observations are then made concerning the evolution of the map of urban centers during the first centuries of Islam in Morocco.

Keywords: Cities and Settlements, Al-Maghrib al-ʾAqṣā, Mints, Idrissid Dirhams, Geographic Textual Sources, Almoravid Coins.

أدى تطور الأبحاث الأثرية خلال العقود الأربعة الأخيرة بالمغرب إلى فتح آفاق مهمة لدراسة العمران خلال القرون الأولى للإسلام. وبفضل برامج البحث المشتركة، على الخصوص المغربية الأمريكية والمغربية الفرنسية منها، أدت التنقيبات والحفريات التي أجريت بمجموعة من المواقع والمدن الأثرية الإسلامية مثل سجلماسة والبصرة ونكور والقصر الصغير إلى الكشف عن جوانب عديدة من بنياتها ومعالمها.[1] كما شكل برنامج

1. كثيرة هي الدراسات والأبحاث التي نشرت حول هذه المواقع، ونكتفي بالإشارة إلى بعض النماذج منها:
Charles Redman, "Survey and Test Excavation of Six Medieval Islamic Sites in Northern Morocco," *Bulletin d'Archéologie Marocaine* 15 (1983-84): 311-49; Ronald Messier, "Sijilmasa. Five Seasons of Archaeological Inquiry by a Joint Moroccan-American Mission," *Archéologie islamique* 7 (1997): 61-92; Nancy L. Benco (ed.), *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco* (Oxford: BAR International Series, 2004).
كما يمكن الرجوع لعرض عام حول الأبحاث المتعلقة بآثار المرحلة الإسلامية بالمغرب ومواقعها إلى المقال التالي:

Journal Indexed in Emerging Sources Citation Index (Web of Science)
Covered in *Clarivate Analytics* products and services, ISSN: 0018-1005

البحث "نشأة المدينة الإسلامية" الذي انطلق سنة 1995 تحت إشراف الأستاذين الأثريين العربي الرباطي وبَّاتريس كريسيي (Patrice Cressier)، محطة مهمة لإثارة الاهتمام حول موضوع العمران والتمدن.[2] ومن شأن الأبحاث والحفريات المتواصلة في مواقع وليلة وأغمات وسجلماسة أن تكشف معطيات أكثر عن عمران هذه المدن. وسنحاول في ما يلي من السطور عرض إمكانات إسهام المسكوكات،[3] باعتبارها إحدى التخصصات الأثرية التي تعنى بدراسة السكة والنقود، في تقديم ملاحظات حول الموضوع وفي مناقشة بعض الإشكالات المرتبطة بنشأة المدن وتطور العمران بالمغرب الأقصى خلال القرون الأولى للإسلام. ويتعلق الأمر تحديدا بالمرحلة الممتدة من قيام الدولة الإدريسية حتى بداية الدولة المرابطية.

دور ضرب السكة والمدن زمن الأدارسة

لقد وصلتنا أعداد مهمة من النقود، على الخصوص الفضية (أي الدراهم)، التي ضربت من قِبَل أمراء الدولة الإدريسية. وتحمل هذه القطع النقدية فضلا عن أسماء الأمراء أسماء الأماكن أو المدن التي ضربت فيها. ويظهر من خلال جامع الدراهم الإدريسية [4] أن معامل ضرب السكة كانت محدودة زمن المؤسس إدريس الأول، ثم تكاثرت وتعددت في عهد إدريس الثاني وفي عهد الأمراء الذين أتوا بعده. وقد كان، دون شك، لقرار تقسيم المجال الإدريسي بين أبناء إدريس الثاني واستقلال كل واحد منهم بأراضيه أثر واضح في تزايد عدد دور الضرب. ونورد فيما يلي جدولا بأسماء معامل ضرب السكة وفترات نشاطها، وذلك بالاعتماد على جامع اوسطاش، وأيضا على جديد النقود الإدريسية استنادا إلى دراسة لحبيب امعمري.[5]

Ahmed Saleh Ettahiri, Abdallah Fili et Jean-Pierre Van Staëvel, "Nouvelles recherches archéologiques sur la période médiévale au Maroc: Fès, Aghmat et Igiliz," in *Histoire et archéologie de l'occident musulman (VII^e^-XV^e^ siècles)*, ed. Philippe Sénac (Toulouse: Méridiennes, 2012), 157-81.

2. وهو مشروع طموح لم يستوف للأسف كل مراحله على الرغم من تركيزه على ثلاثة مواقع مهمة تعود للعهود الأولى للإسلام وهي اغمات وتمدولت ونكور. وقد انطلق هذا المشروع بعد الندوة العلمية التي نظمت حول الموضوع نفسه: "نشأة المدينة الإسلامية" بمدريد سنة 1994.

Patrice Cressier et Mercedes García-Arenal (eds.), *Genèse de la ville islamique en al-Andalus et au Maghreb occidental* (Madrid: Casa de Velázquez, CSIC, 1998).

3. وقد سبق استثمار بعض معطيات السكة في دراسة عملية التمدن زمن الادارسة من طرف بعض المشاركين في الندوة سالفة الذكر حول نشأة المدينة الإسلامية:

Mercedes Garcia-Arenal et Edouardo Manzano Moreno, "Idrīssisme et villes idrīssides," *Studia Islamica* 82 (1995): 5-33.

4. Daniel Eustache, *Corpus des dirhams idrisites et contemporains* (Rabat: Bank al-Maghrib, 1970-71).

5. Lahbib Maamri, *Monnaies marocaines idrissides et contemporaines: genèse d'un état* (Fès: LREPS, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines-Dhar El Mahraz, 2015).

وقد أوردنا التواريخ الحديثة التي نشرها لحبيب امعمري بخط داكن لتمييزها عن تواريخ جامع أوسطاش.

تدغة	172هـ-254هـ[6]
وليلة	173هـ-209هـ
البصرة	180هـ-300هـ
سبو	192هـ-227هـ
وزقور	193هـ-277هـ
العالية/ العلية	197هـ-280هـ
تهليط	197هـ-276هـ (+296هـ؟)
ورغة	197هـ-270هـ (فلس)
أغمات[7]	198هـ-225هـ
طنجة	198هـ-277هـ (+299هـ؟)
مريرة	200هـ-204هـ
وطيط	200هـ-234هـ
اردم[8]	204هـ
يكم[9]	204هـ
مدينة تلمسان	207هـ-212هـ
أصيلة	209هـ-282هـ
تاجراجرا (منطقة أزرو؟)	224هـ-233هـ
ورزيغة (نواحي مكناس)	224هـ-276هـ
يجرهان (سيدي قاسم/ واد)	224هـ
امعدن (منطقة دبدو؟)	225هـ

6. يتعلق الأمر بأول وآخر سنة ضربت فيها السكة بهذه المدن (حسب ما وصلنا من الدراهم وبعض الفلوس). ولا تعني هذه الإشارة أن ضرب النقود كان بالضرورة مسترسلا طوال الفترة الممتدة بين التاريخين.

7. Mohamed Laallaoui. “Aghmat, atelier monétaire idrisside,” in *Actes du XI^e Congrès International de Numismatique* (Louvain-la-Neuve: Association Professeur Marcel Hoc, 1993), 287-90; Maamri, *Monnaies marocaines idrissides*, 114.

8. Maamri, *Monnaies marocaines idrissides*, 84-5.

9. هناك احتمال كبير أن تكون قراءة اسم هذا الموقع مثل دار لسك الدراهم الادريسية غير صحيحة؛ ويتعلث الأمر بقراءة مبنية على نموذج وحيد ضرب زمن إدريس الثاني سنة 204هـ. ذلك أن موقع يكم يوجد عمليا ضمن مجال إمارة برغواطة بتامسنا، مما يجعل إقامة معمل لسك العملة به أمرا مستبعدا. ويبدو اوسطاش نفسه مترددا بخصوص قراءة هذا الموقع وتوطينه. وبالمقابل، يميل امعمري بعد اكتشافه لدرهمين جديدين ضربا بأردم سنة 204هـ إلى نسبة درهم يكم لدى اوسطاش لاردم وهو ما يبدو، في نظري، الأقرب الى الصواب:

Eustache, *Corpus des dirhams idrisites*, 173-74; Maamri, *Monnaies marocaines idrissides*, 21.

غير أن توطين اردم ضمن المجال الادريسي يبقى هو الآخر غامضا لحد الساعة.

بهت (منطقة ...؟)	229هـ-246هـ
زيز (منطقة الريش؟)	229هـ
وامهنا (منطقة خنيفرة؟)	232هـ
سبتة[10]	277هـ؟

الجدول 1: دور ضرب السكة خلال العهد الإدريسي.

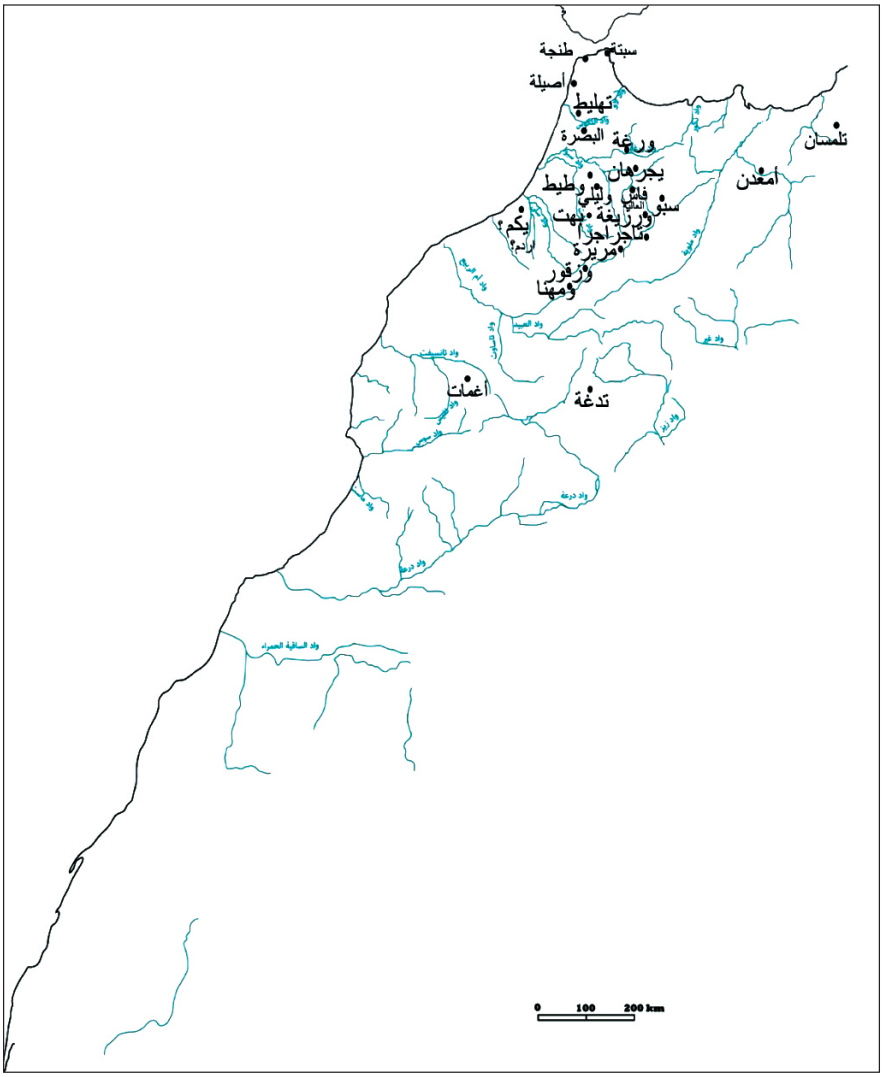

الخريطة 1: دور السكة الإدريسية.

10. Maamri, *Monnaies marocaines idrissides*, 134-35; 205-7.

يتعلق الأمر بلائحة طويلة لدور ضرب السكة من طرف الأدارسة تضم 24 دارا (الخريطة 1). توجد ضمن هذه اللائحة مجموعة من المدن المعروفة مثل البصرة ووليلة والعالية (فاس) وطنجة واغمات والتي تتحدث عنها المصادر الجغرافية القريبة من المرحلة. كما توجد مجموعة أخرى مهمة من المراكز التي تنفرد السكة والدراهم الإدريسية بإخبارنا عن وجودها مثل يجرهان ووامهنا ووطيط وغيرها. وقد بذل دانييل أوسطاش جهدا مهما في محاولة توطينها ضمن جغرافية الدولة الإدريسية. كما اعترف بعجزه عن توطين مواقع أخرى مثل أمعدن وبهت ووامهنا أو قراءة بعض الأسماء المبهمة أو غير المقروءة على مجموعة من الدراهم الإدريسية. وقد سمح نشر مجموعة لحبيب امعمري بإضافة معطيات جديدة ومهمة سواء فيما يتعلق بأسماء دور ضرب لم تكن معروفة (سبتة واردم)، أو فيما يخص استمرار نشاط بعض دور الضرب المعروفة خلال المراحل المتأخرة من حكم الأدارسة (مثل أصيلة والبصرة وطنجة وتهليط وورغة وورزيغة).

ويظهر جليا من سنوات ضرب الدراهم أن غالبية المراكز أو المدن الواردة في الخريطة وفي الجدول قد تم تأسيسها أو دخلت تحت نفوذ الأدارسة زمن إدريس الثاني (175-213هـ). ويتعلق الأمر بالبصرة وسبو ووزقور والعالية (فاس) وتهليط وورغة وأغمات وطنجة ومريرة ويكم ووطيط وأصيلة وتلمسان. ويؤدي النظر في تواريخ بدء سك العملة بمختلف هذه المدن إلى اقتراح كرونولوجيا ولو مؤقتة[11] لدخول بعض هذه المواقع ضمن مجال نفوذ الأدارسة . فبالرغم من أن أول استقرار لإدريس بن عبد الله بالمغرب الأقصى كان بوليلة سنة 172هـ فيظهر من السكة بأن أولى الدراهم باسم إدريس ضربت في نفس هذه السنة بعيدا عن وليلة بموقع تدغة (القريب من مناجم الفضة) والذي سبق أن ضربت به الدراهم باسم العباسيين. ولم يبدأ سك العملة بوليلة إلا في السنة اللاحقة لاستقرار إدريس بها (الشكل 1)، واستمر سك الدراهم بها بشكل منتظم إلى غاية سنة 189هـ، ثم بوثيرة أقل بعد ذلك إلى أن توقف بضع سنوات قبل نهاية عهد إدريس الثاني.[12] وبالنسبة للسكة زمن هذا الأخير، نلاحظ تأخر ضرب الدراهم بالعالية (العدوة اليسرى لفاس) حتى سنة 197هـ، ويميل اوسطاش إلى الحديث عن بناء وتأسيس متأخر نسبيا لهذه العدوة ابتداء من

11. ذلك أن احتمال اكتشاف نماذج للسكة تحمل تواريخ مبكرة يبقى، رغم ضعف هذا الاحتمال، واردا في آخر الأمر.

12. بعد حوالي أربعة عقود من الزمن تلت هذه المرحلة نسجل بشكل مفاجئ ضرب درهم فريد (جزء من قطعة مكسورة نشرها توفيق إبراهيم سنة 1991) بوليلة سنة 247هـ، باسم الأمير يحيى بن محمد (234-249هـ):

Tawfiq Ibrahim, “Miscellany of Medieval North African Numismatics,” *Oriental Numismatic Society Newsletter* 130 (1991): 2-3.

سنة 192هـ، عندما انتقل إدريس الثاني إلى فاس (العدوة اليمنى) لمباشرة أعمال بناء المدينة الجديدة (العالية أو العلية).[13] وفي السنة نفسها التي بدأ فيها ضرب الدراهم بهذه المدينة المذكورة (أي 197هـ) أو قريبا منها، نسجل دخول كل من تهليط وورغة، ثم بعدها أغمات وطنجة (سنة 198هـ) تحت نفوذ الأدارسة . وبالمقابل نلاحظ سك العملة في وقت مبكر وسابق لكل هذه المواقع، بما في ذلك فاس (أو العالية)، في كل من البصرة (سنة 180هـ)، وسبو (سنة 192هـ)، ووزقور (سنة 193هـ).

الشكل 1: درهم إدريسي ضرب بوليلة سنة 173هـ (612. غ/ 8924. ملم).
متحف التاريخ والحضارات (الرباط).

ويبدو أن نشاط دور الضرب بمجموع المراكز يتوقف أواخر القرن الثالث، مما يعني أننا في الحقيقة إزاء خارطة للمدن الخاضعة للأدارسة في المرحلة الممتدة من العقدين الأخيرين للقرن الثاني حتى نهاية القرن الثالث الهجري.[14] ويمكن تفسير إغفال المصادر المكتوبة لاحقا لذكر كثير من المدن الواردة أسماؤها على النقود باندثار هذه المواقع أو تراجع أهميتها، مع بروز مراكز وحواضر منافسة جديدة مثل سجلماسة (معقل إمارة بني مدرار)

13. Eustache, *Corpus des dirhams*, 146-8.

وهناك تباين كبير بين الدارسين حول تاريخ تأسيس مدينة فاس والتي يبدو أنها بنيت بعدوتيها في جميع الأحوال على مرحلتين. ويمكن أن نذكر على الخصوص موقف ليفي بروفنسال الذي يذهب إلى القول بتأسيس مبكر للمدينة زمن إدريس الأول، وموقف بنشقرون مؤخرا الذي يميل إلى فكرة تأسيس فاس من قبل راشد زمن وصايته على إدريس الثاني ثم من قبل هذا الأخير في مرحلة ثانية. وتقوم كلتا الفكرتين في أجزاء منهما على شواهد من المسكوكات أصبح بعضها متجاوزا بعد صدور جامع اوسطاش للدراهم الإدريسية، كما هو الحال مع بعض الدراهم المضروبة سنتي 184 و185هـ ونسبت خطأ لمدينة فاس:

Évariste Lévi-Provençal, "La fondation de Fès," *Annales de l'Institut d'Études Orientales* 4 (1938): 23-53; Chafik T. Benchekroun, "Les Idrissides: l'histoire contre son histoire," *Al-Masāq* 23/3 (2011): 178-83.

14. وقد كان الانطباع السائد قبل نشر مجموعة لحبيب امعمري (بالاعتماد على جامع اوسطاش) هو أن نشاط معظم دور السكة الادريسية يتوقف أواسط القرن الثالث.

على سبيل المثال، والتي أدت بعد تطورها، حسب البكري، إلى تراجع زيز وتدغة.[15] وكما لا يمكن استبعاد احتمال تغير أسماء بعض المواقع (غير الدقيقة جغرافيا)، والتي تحيل في الواقع على أسماء أنهار وأودية مثل سبو وورغة ويجرهان وبهت.

وهذا ما يعني أن لائحة دور ضرب السكة لدى الأدارسة تزيد بقليل، دون شك، عن العدد الوارد في الجدول أعلاه، ومن شأن اكتشاف نماذج واضحة ومقروءة لمثل هذه الدراهم أن تؤكد وجود دور ضرب إضافية (كما حدث مع اردم وسبتة). كما أن غياب أسماء بعض المواقع الأخرى المهمة التي تنسبها المصادر لأبناء إدريس الثاني أو حفدته من السكة، يمكن أن يعزى بدوره إلى الصعوبات المتعلقة بقراءة مضامين هذه الأسماء على الدراهم، وأيضا إلى احتمال عدم مصادفة أو اكتشاف نماذج للسكة المضروبة في هذه المعامل (مثل داي وتادلة التابعتين ليحيى بن إدريس، ونفيس وتامدولت وايجلي ولمطة الخاضعتين لعبيد الله بن إدريس).[16]

كما تنسب إلى الأدارسة في بعض المصادر الأقرب إلى مراحلهم الأولى (كابن خرداذبه على الخصوص)، مجموعة من المدن الغامضة تاريخيا (إذ لا توجد أي إشارة إليها عند ابن حوقل والبكري على سبيل المثال)، مثل مدركة ومتروكة والحاجر،[17] والتي من غير المستبعد أن تكون قد ضربت السكة ببعض منها هي الأخرى. كما يشير المقدسي إلى هذه المدن ومدن أخرى تابعة لفاس ووليلة تختلط أسماء بعضها بأسماء قبائل المنطقة، مثل صنهاجة وهوارة. غير أن إشارات المقدسي تبقى مع ذلك مهمة خصوصا وأنه الوحيد، فيما يبدو، من بين المصادر الذي يتحدث عن كل من سبو وورغة كمدينتين في المرحلة الإدريسية ، وهو الأمر الذي أكدته المسكوكات المضروبة بهما.[18]

ودون شك، كان أيضا للتطورات السياسية التي عرفها المغرب الأقصى مع بداية القرن الرابع الهجري دورها في هجران بعض المدن أو اندثارها، وعلى الخصوص بوسط المغرب وشماله. لقد أدت حروب موسى بن أبي العافية مع الأدارسة، فضلا عن تدخلات أمويي الأندلس من جهة، والفاطميين بالمنطقة من جهة ثانية، إلى تعقيد هذه الحروب؛ مما

---

15. البكري، **المسالك والممالك** (القاهرة: دار الكتاب الإسلامي، دون تاريخ)، 148.

16. ويبقى احتمال قلة تداول الدراهم المسكوكة بايگلي وإقليم السوس عموما واردا أيضا حسب شهادة البكري الذي يشير إلى استعمال أهل هذا البلد للحلي المكسورة في التبايع، البكري، **المسالك والممالك**، 162.

17. ابن خرداذبه، **المسالك والممالك** (ليدن: بريل، 1889)، 89.

18. المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** (ليدن: بريل، 1877)، 219-221.

أدى بالأدارسة إلى تغيير مواقعهم أكثر من مرة لمواجهة هذه الضغوط. ومن أهم نتائج ذلك أن انحصر ملك الأدارسة خلال جزء كبير من القرن الرابع الهجري بمنطقة غمارة بالريف. وتقلصت مواقعهم ومدنهم بهذه المنطقة بسبب هذا الانحصار، كما اكتسبت هذه المواقع في هذه المرحلة طابعا عسكريا ودفاعيا أكثر من السابق (كما هو الحال بالنسبة للحجر أو حجر النسر).

وتطرح لائحة دور الضرب الإدريسية مسألة أخرى مهمة وهي مدى اعتماد المدن القديمة السابقة للإسلام منطلقا لإقامة مدن أو أحياء جديدة من قِبَل الأدارسة. فباستثناء وليلة، التي شكلت مقر ومنطلق الدولة الإدريسية زمن إدريس الأول، وطنجة وتلمسان، فإن بقية المراكز يبدو أنها مستحدثة في معظمها، إما زمن الفتوحات أو إبان الحكم الادريسي (مثل البصرة وأصيلة حسب البكري). غير أنه يظهر من وصف البكري للمغرب الأقصى أن الأدارسة وبعض أتباعهم ومعاصريهم بشمال المغرب قد لجأوا في عهودهم المتأخرة إلى الاستقرار ببعض المواقع القديمة أو بالقرب منها، كما كان الحال مع توشمس وقصر دنهاجة وتطاوان وأصادة.[19]

ويمكن القول في الأخير، إن لائحة مدن ودور ضرب السكة التي كانت تشتغل زمن الأدارسة رغم أهميتها (سواء فيما يخص عدد هذه المراكز أو فيما يتعلق بضمها لأسماء مواقع غير معروفة في المصادر المكتوبة)، لا تشمل مع ذلك كل المدن والمواقع الموجودة تحت سيطرة الأدارسة. وتسمح المعطيات الواردة عند كل من ابن حوقل واليعقوبي، وعند البكري على الخصوص، بإكمال الصورة فيما يتعلق بخارطة الحواضر والتجمعات السكنية الكبرى بالمغرب الأقصى في العهود المتأخرة لملك الأدارسة. ونورد بالجدول اللاحق أهم المدن التي تنسبها المصادر لأمراء هذه الدولة في المراحل المتأخرة من حكمهم، والتي لم ترد أسماؤها في السكة المكتشفة إلى يومنا. ويتعلق الأمر بإحدى وعشرين موقعا يضاف إلى لائحة المدن الإدريسية المسجلة على السكة. وتنعت معظم هذه البلدان، التي يصعب توطين الكثير منها، بالمدينة.[20]

---

19. البكري، **المسالك والممالك**، 106-114.

20. وفي ظل غياب تفاصيل دقيقة عن مكونات هذه المدن، تبقى برامج التنقيب والتحري الأثريين وحدها الكفيلة بإعطاءنا صورة عن الأهمية التاريخية والعمرانية لهذه المواقع.

المدينة	صفتها وصاحبها	المصدر
ويناقام	قاعدة حمود بن إبراهيم	البكري، 107
سوق كتامى	حاضرة/قاعدة إدريس بن القاسم	البكري، 110
ماسنة	مدينة عيسى بن حسن الحسني الحجام	البكري، 111
حجر النسر	قاعدة بني محمد/حصن بناه إبراهيم بن محمد بن القاسم	البكري، 114
افتس	مدينة جنون بن إبراهيم	البكري، 114
تشومس	مدينة ميمون بن القاسم	البكري، 114
زهجوكة	مدينة إبراهيم بن محمد	البكري، 114
بني عوسجة	مدينة حمزة بن علي	البكري، 131
الزيتون	مدينة/قاعدة يحيى بن إدريس بن عمر قبل دخوله فاس	البكري، 125
جراوة	مدينة أسسها أبو العيش عيسى بن إدريس	البكري، 142
تيومتين	مدينة (درعة) كان صاحبها علي بن احمد بن إدريس بن يحيى	البكري، 155
يجاجين	مدينة لجنون بن محمد	البكري، 114
نفيس	صاحبها حمزة بن جعفر	البكري، 160
تامدلت	مدينة ليحيى بن إدريس/أسسها عبد الله بن إدريس بن إدريس	اليعقوبي، 150 البكري، 163
زلول	مدينة/متولى حسن بن كنون	ابن حوقل، 80
الاقلام	مدينة أحدثها آل إدريس	ابن حوقل، 81
كرت	مدينة لآل إدريس	ابن حوقل، 81
غميرة	بلد عبيد الله بن عمر بن إدريس	اليعقوبي، 147
ملحاص لخانة؟	بلد يملكه علي بن عمر بن إدريس	اليعقوبي، 147
صدينة	قلعة/بلد محمد بن عمر بن إدريس	اليعقوبي، 148
السوس	مدينة نزلها بنو عبد الله بن إدريس	اليعقوبي، 150

الجدول 2: لائحة إضافية لمدن ومواقع الأدارسة من خلال المصادر المكتوبة.

وحتى تكتمل الصورة، إلى حد ما، بخصوص خارطة المدن بالمغرب الأقصى زمن الأدارسة،[21] تجب الإشارة أيضا إلى المواقع التابعة وقتئذ لمملكة بنو صالح، مثل مدينتي نكور ومرجانة التي يعتبرها اليعقوبي آخر مملكتهم.[22] وكذلك الأمر مع المدن التي استحدثها أو أقام بها خصوم الأدارسة من بني أبي العافية مثل عين إسحاق (مدينة تسول)، وقلعة جرماط ولكاي ومليلة وقلوع جارة.[23] كما أن هناك أيضا مجموعة من المدن تصفها المصادر في هذه المرحلة ولا نعرف بدقة مدى تبعيتها أو خضوعها للأدارسة، وينسب البعض منها لدى البكري إلى القبائل المستقرة بها أو إلى بعض زعامات هذه القبائل، مثل قلعة ابن خروب (المنسوبة لكتامة) ومدينة سداك (في بلد مغيلة والمنسوبة لخلوف بن يحمد المغيلي) على سبيل المثال.[24]

ويظهر بشكل جلي، سواء من خلال المسكوكات أو المصادر المكتوبة، أن شبكة المدن والحواضر كانت كبيرة ومتعددة بالمغرب الأقصى في القرون الأولى للإسلام. غير أن عددا لا بأس به من هذه المدن اندثر في المراحل المتأخرة لحكم الأدارسة بسبب الصراعات والحروب التي طبعت جزءا كبيرا من القرن الرابع الهجري. كما خرب ودمر عدد آخر من المدن في القرن اللاحق (أي القرن الخامس)، من قبل المرابطين أثناء بسط نفوذهم بوسط المغرب وشماله. هكذا ومع قيام الدولة المرابطية بدأت تظهر بعض التغيرات على خارطة الحواضر بالمنطقة. وتعطينا لائحة دور ضرب السكة التي كانت تشتغل زمن المرابطين بعض ملامح الخارطة الجديدة للمدن؛ إذ نسجل ضرب السكة من قِبَل أمراء هذه الدولة في المدن المغربية التالية:[25]

---

21. ذلك أن نفوذ الأدارسة لم يكن يشمل مجموع المغرب الأقصى. ويكفي أن نذكر بأن بعض المراكز المهمة سواء في جنوب شرق المغرب (سجلماسة) أو في أقصى الشمال (نكور وما يليها) لم تكن خاضعة للأدارسة. وحتى تدغة بإقليم سجلماسة، لم يكن خضوعها للأدارسة منذ البداية مستمرا ومنتظما؛ إذ وصلتنا مجموعة من الدراهم المضروبة بهذه المدينة باسم حكام أو أمراء مستقلين أو تابعين للعباسيين:

Eustache, *Corpus des dirhams idrisites*,291-304 .

22. اليعقوبي، **كتاب البلدان** (ليدن: بريل، 1890)، 147.

23. البكري، **المسالك والممالك**، 88-89؛ 126؛ 142.

Mohamed Belatik, "Ain Ishaq, capitale de la principauté des Bani abi al Afiya, contribution à l'histoire et à l'archéologie du Haut Moyen Age au Maroc," *Bulletin d'Archéologie Marocaine* 21 (2009): 388-408; Mohamed Belatik, "Ḳal'at Djāra, une forteresse médiévale andalouse sur la côte méditerranéenne du Maghrib al-Aḳsā," *Bulletin d'Archéologie Marocaine* 23 (2016): 179-99.

24. البكري، **المسالك والممالك**، 109 و111. كما تبقى المعطيات والمعلومات قليلة أو منعدمة عن العلاقات التي تربط هذه المدن بمحيطها وببعضها البعض:

Bernard Rosenberger, "Les premières villes islamiques du Maroc: géographie et fonctions," in *Genèse de la ville islamique en al-Andalus et au Maghreb occidental*, Patrice Cressier et Mercedes García-Arenal (eds.) (Madrid: Casa de Velázquez, CSIC, 1998), 255.

25. اعتمدنا في هذا الجدول بالأساس على المعطيات الواردة في جامع النقود المرابطية لدانييل اوسطاش:

Daniel Eustache, *Corpus des monnaies almoravides* (Rabat: Bank al-Maghrib, 2017).

وقد أضفنا تفاصيل غير واردة بهذا الجامع عن تواريخ السكة ونوعها ببعض المدن بناء على منشورات لقطع نقدية جديدة لم تذكر في كتاب اوسطاش وتمت الإحالة على هذه المنشورات.

	النقود الذهبية	النقود الفضية (دون تاريخ)
سجلماسة	446هـ/450هـ-540هـ	
أغمات	452هـ[26]/486هـ-540هـ	
فاس/مدينة فاس	467هـ[27]/484هـ-539هـ	
سبتة	484هـ/542/543هـ	قراريط علي بن يوسف
مراكش/مدينة مراكش	485هـ-541هـ	
تادلة	493هـ	
نول/ نول لمطة	494هـ-542هـ	قراريط علي بن يوسف[28]
مكناسة (مكناس)[30]	494هـ[29]	قراريط علي بن يوسف
تلمسان/مدينة تلمسان	505هـ-540هـ	
سلا	508هـ	
الوجة[31]	511هـ ؟	
بني تاودا	510هـ[33]/513هـ	قراريط علي وتاشفين[32]
طنجة		قراريط علي بن يوسف

الجدول 3: دور ومدن ضرب السكة بالمغرب خلال العهد المرابطي.

26. Lahbib Maamri, *Monnaies marocaines. L’empire almoravide: de la cité-État à l’État-Nation* (Fès: LREPS, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines-Dhar El Mahraz, 2019), 54-5.

وهناك تواريخ أخرى جديدة للسكة المرابطية وردت بهذا الكتاب واكتفينا بالإشارة إلى أهمها.

27. Maamri, *Monnaies marocaines. L’empire almoravide*, 57.

28. Federico Benito de los Mozos, “La plata almorávide y post-almorávide: el Quirate,” *Manquso* 7 (2017): 77.

29. Tawfiq Ibrahim, “The First Evidence of a Mint in Miknāsa: two Unpublished Almoravid Coins, a Dirham and a Dinar of the Year 494 H/1100,” in *Proceedings of the XIVth. International Numismatic Congress* (Glasgow: International Numismatic Council, 2011), 1821-25.

30. وقد ورد اسمها في جامع اوسطاش (ص 186) على قطعة فضية (قيراط) ضربت في عهد علي بن يوسف (ولا تحمل تاريخ الضرب). وقد صنف اوسطاش مكناسة ضمن مدن الأندلس بسبب تشابه اسمها مع اسم مدينة صغيرة تقع شرق سرقسطة. أما في مقاله سنة 1970 حول معامل ضرب السكة بالمغرب فقد صنف اوسطاش مكناسة ضمن معامل المغرب التي بدأت تشتغل زمن المرابطين:

Daniel Eustache, “Les ateliers monétaires du Maroc,” *Hespéris-Tamuda* XI (1970): 95-102.

ويرجح أن الأمر يتعلق بمدينة مكناس بالمغرب الأقصى.

31. وقد أدرجت هي الأخرى في جامع اوسطاش للنقود المرابطية ضمن مدن الأندلس ورجحنا ما ذهب إليه المؤلف نفسه في مقاله حول دور السكة عندما وطن الوجة بوسط شمال المغرب:

Eustache, *Corpus des monnaies*, 80 et 363; Eustache, “Les ateliers,” 100.

32. بالنسبة لقراريط بني تاودا، فإنها غير مسجلة بجامع أوسطاش، وقد وردت لدى توفيق إبراهيم:

Tawfiq Ibrahim, “Miscelánea de numismática andalusí,” *Numisma* 237 (1996): 291-305.

33. Maamri, *Monnaies marocaines. L’empire des Almoravides*, 119.

يظهر واضحا من هذا الجدول تقلص عدد المدن ودور ضرب السكة بالمغرب على عهد الدولة المرابطية (13)، (الخريطة 2) مقارنة بالمرحلة الإدريسية (24). غير أنه عندما نضيف المدن التي ضربت بها السكة باسم المرابطين بالأندلس (حوالي 22 مدينة) فإن عدد دور السكة زمن المرابطين يصل إلى 35 دارا.

وإذا اعتمدنا معيار انتظام ضرب السكة بالمعامل كمؤشر على الأهمية الاقتصادية للمدن التي تحتضنها، فإننا نسجل بالنسبة لعدوة المغرب بروز وتفوق ست مدن رئيسة وهي سجلماسة (الشكل 2) وفاس ومراكش وأغمات ونول لمطة (الشكل 3) وتلمسان. وتعتبر جميعها مدنا استراتيجية بالنظر إلى وقوعها على المحاور الرئيسة لتجارة القوافل الصحراوية. وباستثناء مراكش وبعض المدن المتوسطة مثل بني تاودا،[34] لم يستحدث المرابطون مدنا كثيرة كما فعل سابقوهم من الأدارسة، واكتفوا بإقامة سلسلة من الحصون بغية محاصرة قبائل الجبال وحماية طرق التجارة.

الشكل 2: دينار مرابطي ضرب بسجلماسة سنة 504هـ (4.13 غ/ 25 ملم)
الجمعية الامريكية للمسكوكات.[35]

الشكل 3: قيراط مرابطي ضرب بنول لمطة باسم علي بن يوسف (0.84 غ/ 12 مم)
(مجموعة السيد توفيق ابراهيم)[36] (Tonegawa Collection).

34. ويرجح أن تكون مدينة ورغة، والتي بنيت، في الغالب، على أنقاض إحدى المدن الادريسية.
35. http://numismatics.org (no. 1957.161.5) (Août 2021).
36. http://andalustongawa.50g.com/(Août 2021).

ونسجل أيضا، على النقود المرابطية، نقش كلمة "مدينة" مضافة إلى اسم دار الضرب على دنانير كل من فاس ومراكش وتلمسان. وهذه ظاهرة تتكرر في كثير من دنانير المرابطين بالأندلس (كما هو الحال مع قرطبة واشبيلية والمرية وبلنسية وغيرها). ويبدو أن الأمر يتعلق بتقليد يرجع إلى مرحلة الخلافة الأموية بالأندلس، إذ سبق أن ورد اسم "مدينة فاس"[37] واسم "مدينة سجلماسة" لأول مرة على دنانير ودراهم ضربت بهاتين المدينتين في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري باسم خلفاء قرطبة.[38]

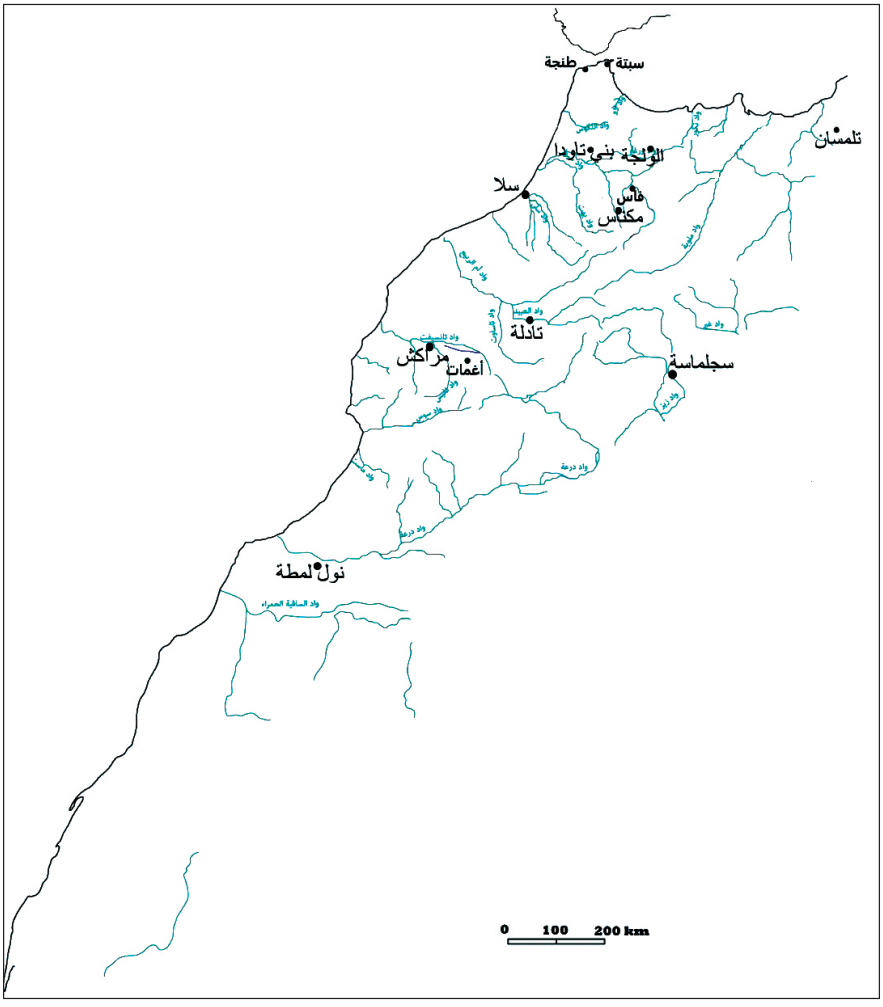

الخريطة 2: توزيع دور ضرب السكة بالمغرب زمن المرابطين.

37. وردت بالمقابل مفردة "مدينة" في سياق مختلف مرتبطة بالعالية على درهم فريد ضرب باسم إدريس الثاني سنة 200هـ (العالية مدينة إدريس):

Eustache, *Corpus des dirhams idrisites*, 148.

38. Georges Carpenter Miles, *Coinage of the Umayyads of Spain*. 1 (New York: American Numismatic Society, 1950), 20-1.

خاتمة

إن تقلص عدد دور ضرب السكة بالمغرب على عهد المرابطين مقارنة مع المرحلة الإدريسية لا يمكن فهمه إلا في سياق اختلاف النمط الاقتصادي وتباين الاختيارات الاستراتيجية لكلتا الدولتين. وإن معظم المدن والمواقع الإدريسية، سواء تلك الواردة أسماؤها على السكة، أو غيرها الواردة أخبارها في المصادر المكتوبة، تتركز بوسط المغرب وشماله، وتتواجد بمواقع خصبة فلاحيا أو على الوديان التي تحمل كثير منها أسماءها. وعلى الرغم من ضيق هذا الحيز الجغرافي، فإن تعدد المدن به وتقاربها مكانيا يؤشر على إصرار الأدارسة على استغلال أقصى للإمكانات الفلاحية المتاحة بهذا المجال. خصوصا وأن إمكانات التوسع باتجاه أقصى الشمال أو الجنوب كان يعوقها في الغالب وجود كل من إمارة بنو صالح بنكور وإمارة بني مدرار بسجلماسة.[39] ويبدو في المقابل أن المرابطين باعتمادهم الرئيسي على التجارة ومواردها قد شجعوا نمط استقرار مختلف يركز على عدد محدود من المدن الاستراتيجية (مثل سجلماسة ونول لمطة وفاس واغمات وتلمسان، وهي أيضا المدن الأكثر نشاطا وانتظاما في ضرب الدنانير بالمغرب على عهد المرابطين) لتأمين انسيابية تجارة القوافل الصحراوية. ويتوافق هذا الاختلاف في النمط الاقتصادي ونمط الاستقرار بين الدولة الإدريسية والدولة المرابطية مع نتائج الأبحاث الأثرية الأولى وخلاصاتها التي همت المدن والمواقع الإسلامية بالمغرب.[40] ويبدو في المحصلة بأن نجاح المرابطين في بسط نفوذهم على مجموع المغرب الأقصى ثم في التوسع باتجاه جزء من المغرب الأوسط، وباتجاه الأندلس على الخصوص قد سمح، دونما شك، بعملية فرز كبرى للمدن بالمغرب. ولم يتوان المرابطون عن تدمير ما تبقى من مدن الأدارسة ومعاقلهم، مقابل إنشاء عدد مهم من الحصون والقلاع بمختلف محاور طرق التجارة. وما يزكي الوظيفة العسكرية الصرفة لهذه الحصون هو عدم اعتمادها لضرب السكة إلا في حالات قليلة وبوتيرة ضعيفة كما كان الحال مع بني تاودا وتادلة.

Bibliographie

Al-Bakrī. *Al-Masālik wa al-Mamālik*. Al-Qāhira: Dār al-Kitāb al-ʾIslāmī, dūna tārīkh.

Al-Muqaddasī, *Aḥsan al-Taqāsīm fī Maʿrifat al-ʾAqālīm*, Leiden: Brill, 1877.

Al-Yaʿqūbī, *Kitāb Al-Buldān*. Leiden: Brill, 1890.

Belatik, Mohamed. "Ḳal'at Djāra, une forteresse médiévale andalouse sur la côte méditerranéenne du Maghrib al-Aḳsā." *Bulletin d'Archéologie Marocaine* 23 (2016): 179-99.

39. دون أن ننسى وجود الضغوط أيضا من ناحية الغرب من قبل إمارة برغواطة بتامسنا.

40. James L. Boone, J. Emlen Myers & Charles L. Redman, "Archeological and Historical Approaches to Complex Societies: the Islamic States of Medieval Morocco," *American Anthropologist* 92 (1990): 630-46; James L. Boone and Nancy L. Benco, "Islamic Settlement in North Africa and the Iberian Peninsula," *Annual Review of Anthropology* 28 (1999): 51-71.

Belatik, Mohamed. "Ain Ishaq, capitale de la principauté des Bani abi al Afiya, contribution à l'histoire et à l'archéologie du Haut Moyen Age au Maroc." *Bulletin d'Archéologie Marocaine* 21 (2009): 388-408.

Benchekroun, Chafik T. "Les Idrissides: l'histoire contre son histoire." *Al-Masāq* 23/3 (2011): 171-88.

Benco, Nancy L. (ed.). *Anatomy of a Medieval Islamic Town: al-Basra, Morocco*. Oxford: BAR International Series, 2004.

Benito de los Mozos, Federico. "La plata almorávide y post-almorávide: el Quirate." *Manquso* 7 (2017): 1-199.

Boone, James L. & Nancy L. Benco. "Islamic Settlement in North Africa and the Iberian Peninsula." *Annual Review of Anthropology* 28 (1999): 51-71.

Boone, James L., J. Emlen Myers & Charles L. Redman. "Archeological and Historical Approaches to Complex Societies: the Islamic States of Medieval Morocco." *American Anthropologist* 92 (1990): 630-46.

Cressier, Patrice et Mercedes García-Arenal (eds.). *Genèse de la ville islamique en al-Andalus et au Maghreb occidental*. Madrid: Casa de Velázquez, CSIC, 1998.

Ettahiri, Ahmed Saleh, Abdallah Fili et Jean-Pierre Van Staëvel. "Nouvelles recherches archéologiques sur la période médiévale au Maroc: Fès, Aghmat et Igiliz." In *Histoire et archéologie de l'occident musulman (VII^e^-XV^e^ siècles)*, ed. Philippe Sénac, 157-81. Toulouse: Méridiennes, 2012.

Eustache, Daniel. *Corpus des monnaies almoravides*. Rabat: Bank al-Maghrib, 2017.

Eustache, Daniel. *Corpus des dirhams idrisites et contemporains.* Rabat: Bank al-Maghrib, 1970-71.

Eustache, Daniel. "Les ateliers monétaires du Maroc." *Hespéris-Tamuda* XI (1970): 95-102.

Garcia-Arenal, Mercedes et Edouardo Manzano Moreno. "Idrīssisme et villes idrīssides." *Studia Islamica* 82 (1995): 5-33.

Ibn Ḥawqal, *Ṣūrat al-ʾArḍ*. Bayrūt: Dār Maktabat al-Ḥayāt, 1992.

Ibn Khurdādhabih, *Al-Masālik wa al-Mamālik*. Leiden: Brill, 1889.

Ibrahim, Tawfiq. "The First Evidence of a Mint in Miknāsa: two Unpublished Almoravid Coins, a Dirham and a Dinar of the Year 494 H/1100." In *Proceedings of the XIVth. International Numismatic Congress*, 1821-25. Glasgow: International Numismatic Council, 2011.

Ibrahim, Tawfiq. "Miscelánea de numismática andalusí." *Numisma* 237 (1996): 291-305.

Ibrahim, Tawfiq. "Miscellany of Medieval North African Numismatics." *Oriental Numismatic Society Newsletter* 130 (1991): 2-3.

Laallaoui, Mohamed. "Aghmat, atelier monétaire idrisside." In *Actes du XI^e^ Congrès International de Numismatique*. Bruxelles, 8-13 septembre 1991. 287-90. Louvain-la-Neuve: Association Professeur Marcel Hoc, 1993.

Lévi-Provençal, Évariste. "La fondation de Fès." *Annales de l'Institut d'Études Orientales* 4 (1938): 23-53.

Maamri, Lahbib. *Monnaies marocaines. L'empire des Almoravides: de la cité-État à l'État-Nation*. Fès: LREPS, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines-Dhar El Mahraz, 2019. (En Arabe/le catalogue est bilingue: Ar/ Fr).

Maamri, Lahbib. *Monnaies marocaines idrissides et contemporaines: genèse d'un état*. Fès: LREPS, Faculté des Lettres et des Sciences Humaines-Dhar El Mahraz, 2015.

Messier, Ronald. "Sijilmasa. Five Seasons of Archaeological inquiry by a Joint Moroccan-American Mission." *Archéologie Islamique* 7 (1997): 61-92.

Miles, Georges Carpenter. *Coinage of the Umayyads of Spain*. 1 New York: American Numismatic Society, 1950.

Redman, Charles. “Survey and Test Excavation of six Medieval Islamic Sites in Northern Morocco.” *Bulletin d’Archéologie Marocaine* 15 (1983-84): 311-49.

Rosenberger, Bernard. “Les premières villes islamiques du Maroc: géographie et fonctions.” In *Genèse de la ville islamique en al-Andalus et au Maghreb occidental*, (eds.). Patrice Cressier et Mercedes García-Arenal, 229-55. Madrid: Casa de Velázquez, CSIC, 1998.

العنوان: ملاحظات حول تطور العمران بالمغرب الأقصى خلال القرون الأولى للإسلام

ملخص: يستعرض هذا المقال بعض إمكانات مساهمة القطع النقدية، بواسطة أسماء دور أو معامل ضربها والتي تحيل في الواقع على أسماء مدن ومراكز حضرية متفاوتة الأهمية، في توضيح الصورة فيما يتعلق بتطور الحواضر بالمغرب الأقصى. كما تتم مقارنة ومواجهة لائحة مدن ومواقع ضرب السكة في المرحلة الإدريسية بمعطيات المصادر المكتوبة من جهة، وكذلك بلائحة دور ضرب السكة على عهد الدولة المرابطية من جهة ثانية. مما يسمح بتقديم ملاحظات حول التغيرات التي عرفتها خارطة المدن في القرون الأولى للإسلام بالمغرب.

الكلمات المفتاحية: المدن والحواضر، المغرب الأقصى، دور ضرب السكة، الدراهم الإدريسية، المصادر الجغرافية، السكة المرابطية.

Titre: **Quelques remarques sur l’évolution de l’urbanisme au Maroc pendant les premiers siècles de l’Islam**

Résumé: Sont exposées dans cet article les possibilités de contribution des pièces de monnaies, à travers les noms d’ateliers qu’elles portent et qui renvoient en réalité à des villes et des centres urbains, à nos connaissances sur les villes et le peuplement au Maroc (al-Maghrib al-ʾAqṣā). Des comparaisons sont établies par la suite entre, la liste des ateliers monétaires idrissides et les données textuelles d’un côté et la liste des ateliers marocains actifs sous les Almoravides d’un autre côté. Ce qui permet de faire quelques remarques sur les changements et l’évolution de la carte urbaine durant les premiers siècles de l’Islam au Maroc.

Mots-clés: Villes et peuplements; al-Mghrib al-ʾAqṣā, ateliers monétaires, dirhams des Idrissides, textes géographiques, monnaies almoravides.